باب التاريخ:

1. عولمه... أم غزو حضاري ؟؟!

Globalization…or civilizational invasion!??

بقلم: الأستاذ الدكتور خالد مصطفى مرعب

أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية وأستاذ التاريخ الحديث في الجامعة اللبنانية.

Professor Khaled M. Merheb

Professor of history and Islamic civilization

Matar bld 2nd floor chifaa hospital st Tripoli north Lebanon

Dr_merheb@hotmail.com

Khaled.merheb@jinan.edu.lb

ملخص

تبدو العولمة أكثر من مجرد حقل ثقافي عالمي مشترك، بل أصبحت هاجساً يشمل كافه إهتمامات الناس في هذا العصر، وذلك لتأثيراتها العميقة والمختلفة على مسار الحياة البشرية. حتى أنها أعادت تشكيل الحضارة الإنسانية وفق معطياتها وأساليبها المتطورة. ولعبت في ذلك دوراً في تسعير التنافس الحضاري إلى حد الوصول إلى هيمنة نموذج الحضارة الغربية المعولمة وإستئثارها بالنفوذ والسيطرة والطغيان. في حين ما زالت حضارات عريقة تحاول الحفاظ على موروثها وتراثها رغم الصعوبات التي تواجهها والمشاكل التي تعترضها فبقيت هذه الحضارات صامدة معاندة تقاوم الذوبان

والزوال. وفي مقدمه هذه الحضارات: الحضارة الإسلامية. لكن توافر عوامل القوة والسيطرة للحضارة الغربية الأورو- أمريكية أكسبها قدرة متفوقة على الاستيلاء على مفهوم العولمة واحتكاره وجعله صورة للرؤية الغربية للمسيرة الحضارية العالمية، فهي بذلك أصبحت عولمة محتكرة من الحضارة الغربية المتغلبة. لذلك برزت طروحات تشير إلى إمكانيه إنتهاء الحضارة على هذه البسيطة وزوالها بسبب فساد الحضارة الغربية وتغولها واضطرابها. وأخطر ما تتعرض له هذه الحضارة الغربية المعولمة ذات الصبغة الأورو- أمريكية فقدان القيم الإنسانية وإنحلال الأخلاق وطغيان القوى الغاشمة، بدليل ما تعيشه البشرية اليوم من حروب وويلات وقهر ومظالم. من هنا الدعوة لتصحيح مسار الحضارة الغربية المعولمة عن طريق استلهام النموذج الحضاري الإسلامي المبني على القيم والمبادئ الإنسانية والأخلاقية. وما من سبيل لمواجهة الخطر المحدق بالبشرية سوى بمواجهة هذه العولمة المتغولة بسماتها الغربية الفاسدة وشرورها إلا بالعودة إلى قواعد الحق والعدل والمساواة التي تعتمدها الحضارة الإسلامية. فالعولمة الغربية هذه ما هي إلا غزو حضاري قد يقضي على البشرية ويوردها المهالك.

Abstracts

Globalization seems to be more than just a common global cultural field. Rather, it has become an obsession that includes all the interests of people in this era، due to its profound and diverse effects on the course of human life. It even reshaped human civilization according to its advanced data and methods. In this, it played a role in pricing cultural competition to the point of reaching the hegemony of the globalized Western civilization model and its monopolization of influence, control and tyranny. While ancient civilizations are still trying to preserve their inheritance and heritage despite the difficulties they face and the problems they face, these civilizations have remained steadfast and stubborn, resisting dissolution and disappearance. At the forefront of these civilizations is the Islamic civilization. But the availability of factors of power and control for Western Euro-American civilization gave it a superior ability to seize the concept of globalization, monopolize it، and make it an image of the Western vision of the global civilizational process. Thus، it became a globalist monopoly of the dominant Western civilization. Therefore، proposals have emerged indicating the possibility of the end of civilization on this planet and its demise due to the corruption, invasion, and turmoil of Western civilization.

The most dangerous thing that this globalized Western civilization with a Euro-American character is exposed to is the loss of human values، the dissolution of morals، and the tyranny of brute forces, as evidenced by the wars, calamities، oppression، and injustices that humanity is experiencing today. Hence the call to correct the course of globalized Western civilization by drawing inspiration from the Islamic civilizational model based on human and moral values and principles. There is no way to confront the danger facing humanity except by confronting this invading globalization with its corrupt Western characteristics and evils، except by returning to the rules of truth، justice,and equality adopted by Islamic civilization. This Western globalization is n o thing but a civilizational invasion that may destroy humanity and cause it disaster.

بين يدي الفكرة

«المجتمع الدولي» .. مصطلح بات أكثر تداولاً وكأن العالم أصبح مجتمعاً واحدا يضمه حيز جغرافي مساحته الأرض بأكملها، بعد أن أصبح البشر كلهم «جيرانا» متقاربين بفعل اختصار الزمن واختراق المسافات الى حد أن أصبحت الأرض بأكملها «قرية» متقاربة متفاعلة متناظرة متعايشة... إلخ.

وباتت «العولمة» أكثر من مجرد حقل ثقافي عالمي مشترك، وتجاوزت مفاهيمها كل التوقعات والاعتبارات بعد أن بلغ من اختلاط الناس وتشابكهم حداً فاق التصور. وبات التأثير والتأثر واقعاً ملموساً لامس كل اهتمامات الناس ومشاغلهم وشوؤنهم العامة والخاصة. كل ذلك أفسح المجال للتلاقي والتلاقح والتفاعل سلباً وإيجاباً على المستوى الرسمي وعلى المساحة الشعبية، وكل ذلك أدى أيضاً بطبيعة الحال إلى نوع من الصراع أو التدافع بين المنظومات القيمية والموروثات الحضارية للشعوب. تراوح بين «الصراع الحضاري» و«الحوار الحضاري». بين ثنايا حركة التاريخ ومراحله المختلفة صراع، تمثل بالحروب والغزو والقتال بهدف الإنتصار وإثبات الذات والأحقية. وحوار، تمظهر بالتواصل الإيجابي الودي اعترافاً بالآخر وحقوقه والمصالح المشتركة معه. وكانت القوة هي معيار التفوق الحضاري، سواء منها القوة العسكرية وهي الاساس، أم القوة المادية الإقتصادية والإجتماعية .. إلخ. وفي عالم الحضارات كانت الأمم تتفانى في الحفاظ على قيمها وتراثها باعتبار ذلك غاية وجودها وتميزها بغض النظر عن مستوى رقي

هذه الحضارات ومستواها الحضاري. ذلك بأن الحضارة لشعب ما هي هويته الإنسانية المقيدة المعروف بها والتي تبرز خصائصه وتميزه عن غيره. وهذا لا يعني أن كل حضارة هي معزولة عن غيرها، بالعكس فإن الحضارات تتبادل السمات والخصائص والإنجازات بطرق وأساليب متعددة. والحضارة الأكثر قوة وتفوقاً تؤثر طبعا في غيرها وتفرض بطريقة أو أخرى نفسها على تلك الأضعف والأقل مناعة ومنعه وتطوراً. واليوم، يشهد العالم تفاعلاً حضارياً منقطع النظير بسبب ما توفر له من قدرات تواصلية فاقت كل تصور واتصال مذهل فتح أفاقاً خياليه أمامه. وعلى سبيل المثال لا الحصر، فأنت اليوم في منزلك في اي مكان من العالم يمكنك أن تجتمع مباشرة، بالصوت والصورة، مع من تريد في أكثر من بلد من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب. تتناول الإفطار مع إبنك وعائلته وهو في الطرف الآخر من الكرة الأرضية وتكاد تتذوق طعامه..؟؟

ويمكنك ان تفطر في بغداد وتتغدى في باريس وتتعشى متأخراً في سلوباولو.. إنه عالم صغير جداً وقريب ومتفاعل. وتستطيع أن تقوم بجولة سياحية عالمية للإطلاع على أجمل البلاد في مدة لا تزيد عن بضعة أيام. وأنت في سريرك تطلع على أخبار العالم من أقصاه إلى أقصاه.. مباشرة بالصوت والصورة ومن قلب الحدث. ناهيك عن عالم المعلومات الذي وفر لك كل ما تريد معرفته بكبسة زر ؟ لقد أصبحنا في عالم صغير وقريب وحميم. نستطيع تناوله والتفاعل معه بكل سهولة. فماهي التبعات والعواقب ؟؟ وما هي الحسنات والسيئات ؟؟ وما هي النتائج والعبر التي يمكن قراءتها من خلال التجربة العولمية تلك ؟؟ وهل هناك خطر ما يحدق بنا نحن البشر جراء هذه «العولمة» المتغوله ؟؟ وهل هي مجرد عولمة أم أنها شيئ آخر.. كغزو حضاري مثلاً ؟!!..

- **عولمة وحضارة**

فالعولمة مصطلح فرض نفسه مع ما بلغه الإنسان من قدرة على الإتصال والتواصل بين مختلف جهات الأرض بقدرة فائقة، نتج عنها مخرجات كثيرة ونتائج عديدة على البشرية جمعاء. وتنوعت هذه العولمة وتصنفت، فهناك عولمة ثقافية، وعولمة إقتصادية، وعولمة إجتماعية ... إلخ. وتوسع مفهوم العولمة ليشمل كل شيئ تقريباً، فباتت هاجساً يقض مضاجع العلماء والمفكرين والفلاسفة وهم يحاولون الإمساك به والإحاطة بتشعباته وتداعياته. وفي واقع الحال باتت هذه العولمة قدراً مقدوراً فهي تعيش في تفاصيل حياتنا

نحن البشر، بل هي تسلل الى أعمق خصوصياتنا وأسرارنا.

فالإنسان أصبح «عالميا» شاء أم أبى وبات هويتان: محلية وطنية، وعالمية إنسانية. ونشأت لذلك: منظمات عالمية، شركات عالمية، جيوش عالمية، مؤسسات عالمية، حروب عالمية إلخ. وباتت العالمية صفة لكل شيئ. وفي هذه العولمة هيمنت قوى عالمية على غيرها بفعل قدراتها الهائلة وإمكاناتها المتفوقة. فتحولت العولمة إلى طغيان وتسلط وإستثمار.. إلى حد الإسغلال والإستقواء. وانساحت الحضارات لتتداخل وتتمازج وتتماهى فما بينها. مما أدى إلى ذوبان بعضها الضعيف وإندثار بعضها الأضعف وبروز منها الأقوى طاغية مسيطرة فارضة مفرداتها وسماتها على الآخرين، إلا من بعض تلك الحضارات التي تملك مقومات صلبة لازالت تعاند وتقاوم ساعية للحفاظ على تراثها وموروثها التاريخي بشتى الوسائل. وقد صنف بعض العلماء والمفكرين هذه الحضارات باعتبارها أصلية عصية على الزوال قادرة على الإستمرار والبقاء والصمود محافظة على أصولها بقدر ما. بعدما تبينت مساوئ وفساد وشذوذ الحضارة المعلومة المهيمنة بطابعها الغربي الأوروبي الأميركي. وبعدما برزت سلسلة من التناقضات والاشكاليات تكشف عيوباً منهجية وبنيوية في أنماط العولمة الغربية قد تؤدي الى أخطار جسيمة على البشرية وربما تهوي بها الى الفناء. إذ أن هذه العولمة أنتجت حضارة ظاهرها جميل براق زاهي، وباطنها خبيث شرير شاذ، حضارة منافقة تظهر ما لاتبطن، تشبه شريعة الغاب الى حد كبير، حيث القوي يأكل الضعيف، القادر يستغل العاجز، المسيطر يتحكم بمن لا حول له ولا قوة. والغني يستأثر بالفقير. وصنف العالم بين أول، وعالم ثاني، وعالم ثالث ... وتحالف الأقوياء وتقاسموا الأطاع والسيطرة، وتحكم بالعالم «مجموعة الدول السبع» الأقوى في العالم إقتصادياً وحضارياً، إضافة إلى مجموعة أخرى أوسع «مجموعة الدول العشرين» الاوسع تحالفا وقوة ومكانة. واستغلت هذه المجموعات الدولية القوية قدراتها لتفرض سياساتها وتوجهاتها على بقية امم الأرض. وباتت التحالفات والاحلاف الأممية وسيلة للهيمنة وتحقيق المكاسب والأهداف المادية والمعنوية. مثل التحكم بالإقتصاد العالمي والموارد الإستراتيجية، وفرض المنظومة القيمية الحضارية الملائمة لها. ولقد حاولت البشرية إيجاد مساحات أوسع للتفاهم والتعاون حول ما عرف بالمنظمات الدولية ذات الطابع الإنساني الشامل كمنظمة الأمم المتحدة وشبيهاتها .لكنها

خضعت بطبيعة الحال للقوى العالمية النافذة مما أفقدها فعاليتها وتأثيرها إلا في نطاق ضيق ومحدود إقتصر على المظاهر والشكليات ومعالجة النتائج دون الاسباب. وأفرغت بذلك من مضمونها العالمي المؤثر. بدت وكأنها ألعوبة بيد القوى العالمية المسيطرة .بل إنها استخدمت كأداة لتحقيق مآرب هذه القوى العالمية وفرض منظوماتها القيمية الحضارية المادية الغربية الفاسدة والهدامة والشاذة. وهكذا برز ما يعرف «بالحضارة المعولمة « الناتجة عن تفاهم القوى العالمية المهيمنة والمسيطرة على مقدرات البشر. تفاهم وضع الإنسانية جمعاء في خطر داهم ناتج عن تبني شعارات ومبادئ وقيم تتنافى مع فطرة الإنسان وطبيعته من جهة، ومن جهة أخرى إزدواجية المعايير وإستغلالها لفرض رؤيته الحضارية على الناس. وسرعان ما تكشفت الأهداف الخبيثة وراء الشعارات والعناوين البراقة لتبدو على حقيقتها عارية مفعمة بالزيف والنفاق والكذب والدجل. فالحرية أصبحت إستحلال المفاسد والشذوذ، والمساواة باتت أحقاداً دفينة بين أصناف البشر، والعدالة مقتصرة على الأقوياء، وحقوق الإنسان تخص « الإنسان « المتفوق دون الآخر المسحوق... وبالإجمال بدت القيم الحضارية إنتكاسة إنسانية ورده لعصور ما قبل إنسانية الإنسان.. ؟؟ والمضحك المبكي.. والمؤسف في نفس الوقت أن بعض منظري الحضارة الغربية إعتبروا أنها منتهى الحضارات وغاية الغايات حيث، برأيهم، وصل الإنسان إلى القمة الحضارية ونهاية الحضارة. فيما يبدو واضحاً أن هذه الحضارة الغربية المعولمة إرتكست وإنحطت إلى الدرك الأسفل وعادت في بعض مبادئها وقيمها إلى أسفل سافلين قد يأنف الحيوان منها. فأي حضارة هذه وأي عولمة وأي مصير ينتظر البشرية،وهي تعود إلى حيوانيتها المادية المصلحية الجاهلية .فمقابل هذه الإنجازات العلمية والتقنية والتواصلية الباهرة، والإمكانات الإقتصادية والفكرية الفذه، يهوي الإنسان في قاع سحيق متخلياً عن إنسانيته وفطرته وطبيعته، ليصبح مجرد آله مادية رقمية روبوتية مجرداً من روحه ومشاعره وأحاسيسه منقاداً إلى غرائزه ورغباته وشهواته. مجرداً من دينه ومعتقداته وروحانياته. هذه الحضارة المعولمة الغربية الطابع ستكون فعلاً نهاية «الحضارة» مع نهاية الإنسان.

- **التنافس الحضاري**

عرفت البشرية عبر تاريخها عدداً من الحضارات التي توارثت وتفاعلت وتطورت

وسارت بالبشرية نحو التقدم، فانتقل الإنسان من حياة الكهوف والرعي إلى بناء المجتمعات الصغيرة إلى بناء المدن.. إلى قيام الدول والإمبراطوريات، كل ذلك في أزمة متفاوتة وحقبات تطول أو تقصر. وعندما تمكن الإنسان من الاجتماع وبناء علاقاته الأسرية الأولية ظهرت بوادر تمتعه بالقدرة على البناء والتمدن. ومن ثم بدأ يتحضر وينتج أدواته ويتحكم بموارده وحاجياته. حتى أقام حضاراته في بقاع الأرض المختلفة .. في الشرق الأدنى بلاد الرافدين، في وادي النيل، وفي شواطئ إفريقيا، في وادي السند في الصين.. إلخ. ولقد تمكنت هذه الحضارات الأولية من التواصل والتبادل والتفاعل فيما بينها. ومن هذه الحضارات ما كان لها فضل على البشرية بما أنتجته من اكتشافات مكنت الإنسان من التحضر والتمدن والتطور. كالحضارة السومرية، والحضارة الفرعونية، والحضارة الإغريقية، والحضارة السند هندية .. إلخ. ثم جاءت الإمبراطورية الفارسية بحضارتها المهيمنة على الشرق الأدنى لتواجه الإمبراطورية الرومانية وحضارتها الغربية. وقد برز التنافس الحضاري مبكراً بين الأمم والشعوب جعل القوى العالمية آنذاك في حالة تدافع وصراع وتفاعل كانت له نتائجها السلبية والإيجابية على العالم. ومع ظهور المسيحية بدأ تاريخ جديد للعالم، فالعالم قبل الميلاد (ميلاد السيد المسيح)، غيره بعد الميلاد، باعتبار رسالة المسيحية إنقاذاً للبشرية من غفلتها ومفاسدها. وكانت الرسالات السماوية تترى على البشرية منذ آدم عليه السلام، لتستقيم على أمر الله بإقامة شريعته في الأرض لحفظ الإنسان وحمايته وإسعاده في الدنيا والآخرة. لكن الإنسان كان في كل مرة يزيغ عن أمر الله، وينحرف عن جادة الصواب، فيغرق في مفاسده وظلمه وآثامه. فيرسل المولى عز وجل الرسل والأنبياء لإعادته إلى سويته وصوابه. وكانت شرائع الله ورسالاته تضمن للإنسان رقية وتحضره وسلامته وديمومة حياته. لكن الإنسان بما جبل عليه من ضعف ومعصية وظلم ينساق وراء شروره فيحول حياته إلى مآسي وويلات ومفاسد. وقد طالت هذه الإنحرافات رسالات السماء وتعاليمها السمحة، حتى جاء الإسلام مكملاً لرسالات السماء، خاتماً لها، مستوعباً كل كمالاتها، لتستقيم البشرية من جديد على أمر الله، ولتنعم بشريعة الإسلام السمحاء التي أنتجت حضارة رائدة نقلت البشرية إلى مستوى حضاري راقي ومتألق طيلة قرون من الزمن. وسرعان ما تمكنت حضارة الإسلام من استيعاب النتاج الحضاري العالمي وتفاعلت معه لتطلق منظومة حضارية ذات طابع رباني وخصائص مميزه جعلتها فريدة ومزدهرة وأصيلة. وقد اعترفت

الحضارة الإسلامية بفضل الحضارات السابقة واستفادت منها، لكنها تجاوزتها وطورتها وزادت عليها، وانتجت خصائصها ومميزاتها الذاتية حتى انتهت اليها مخرجات الحضارة العالمية، ومنجزاتها وباتت الحضارة الإسلامية رائدة الحضارة العالمية وفي مقدمتها. إلى ذلك فإن الحضارات بما هي تعبير عن تطور الأمم ونموها كانت في حالة تنافس وتدافع، تمظهر أحياناً في حروب وصراعات مريرة وأحياناً في علاقات سلمية ومصالح مشتركة. فيما كانت هذه الحضارات متفاوتة القوة والتأثير والتمدن. ومنها ما ساد ثم باد ولم يتبق إلا آثاره. ومنها ما استمرت من خلال حضارات أخرى وارثه. وفي مرحلة ما قبل ظهور الإسلام، كانت هناك حضارتان في حالة صراع وتنافس هما الحضارة الفارسية الشرقية، والحضارة الرومانية الغربية. وكانت الحضارة الرومانية قد تبنت المسيحية وتماهت معها، فيما الحضارة الفارسية بقيت على وثنيتها وعقائدها الموروثة كالمانوية والزرادشتية. وبالرغم من المستوى الحضاري المادي التي بلغته هاتان الحضارتان، إلا أنهما غرقتا في مفاسدهما وشرورهما وظلمهما. فالفرس وثنيون والروم أقرب إلى الوثنية أيضاً بما إستحدثوه من طقوس وعقائد انحرفت عن أصول المسيحية الحقه. ثم إنها تشتت وتشرذمت مذاهب وفرقاً حارب بعضها بعضاً حتى انتهكت الحرمات وساد الظلم والقهر. لكن السياق الحضاري كان في ضنك واضطراب لما شابه من مفارقات وتصدعات وإنتكاسات. وجاء الإسلام ليعيد السياق الحضاري إلى مسيرته السوية، فأنتج حضارة ذات طابع رباني قادر على تمكين الانسان من إصلاح واقعه واستعادة مكانته ووظيفته في ريادة الكائنات مكلفاً من خالق الأرض والسماوات ليسعد في دنياه ويفوز في آخرته. وكان النموذج الحضاري الإسلامي مثالاً واضحاً على قدرته الفائقة في إقامة المجتمع الإنساني الكامل المتكامل، وذلك خلال العهد النبوي والعهد الراشدي. فيما العهود التالية شهدت بعض الانحرافات والأخطاء نتيجة الخروج عن بعض اسس وقواعد الحضارة الإسلامية واصولها وثوابتها. لكن ذلك، وبالرغم من سلبياته، لم يؤد إلى عرقلة مسيرة الحضارة الإسلامية وتطورها، حيث استمرت في العطاء وتحقيق الانجازات خلال العصر الوسيط لتحتل مركز الصدارة والريادة بين حضارات العالم. وفي هذا السياق يجب التأكيد على ان التفاعل الحضاري بين الأمم والشعوب لم يتوقف يوماً وأن الحضارات منذ بزوغها تسعى لإثبات ذاتها وتحصن نفسها وتعمق حضورها وتسعى لتفوقها وتسودها، فمن النواحي المادية تبادلت الحضارات الإنجازات والاختبارات

والاكتشافات، وتطورت البشرية بالتوازي والتفاوت حسب قدرات الشعوب على التكيف والإنتاج. فكانت حضارات اكثر تمدناً وتقدما من اخرى، كما كانت مجتمعات اكثر حداثة من أخرى ودولاً اعظم من أخرى. وكان التنافس سبيلا لإحراز السبق والفوز في شتى المجالات. لذلك عُرفت بعض الحضارات ببعض انجازاتها الخاصة بها، فالحضارة الصينية كان لها سبق اختراع الورق، والبارود والعلوم الهندسية بالحسابات الفلكية والحضارة الاغريقية بالفلسفة والمنطق والحضارة الفرعونية بالزراعة والري والحضارة البابلية بالقوانين والأنظمة... إلخ. وإن جملة هذه الانجازات الحضارية كانت تنسحب على الحضارات حسب الحاجة إليها والرغبة فيها .

- **الحضارات الصامدة**

رأى بعض العلماء أن بعض الحضارات تمتلك مقومات وأسس متينة تأبى على الفناء، واختلفوا في أسمائها. لكن المعايير التي وضعوها تكاد تجمع على أن مجرد الوجود والاستمرارية والصمود يعني بشكل ما جدارة هذه الحضارات واهليتها للبقاء والحياة، ويعود سبب صمود هذه الحضارات إلى عدة عوامل،منها:

- **البيئة المناسبة:** والتي تنشأ فيها الحضارة وتتجذر لتشكل حاضنة مناسبة لها يتبناها الناس ويؤمنوا بها ويعملوا على رعايتها ودعمها وتأمين كافة متطلباتها. فتنمو وتزدهر وتترسخ مع الزمن وفق معطيات تتراكم لتشكل موروثاً أصيلاً ومتماسكاً له من يحميه ويدافع عنه ويحرص على نمائه واستمراره.
- **الحاجة والضرورة:**
- لتي تبقي حضارة ما مفيدة ولازمة يصعب التخلي عنها لأهميتها ولاستجابتها لاحتياجات موضوعية لا بد منها.
- **المرونة والفاعلية:** وهذا ما يثبت قابلية الحضارة للتكيف والقدرة على الإستعاب لأية مستجدات في مضمونها وفي مخرجاتها. وتملك الفاعلية الملائمة لتلافي المساوئ نسبياً بالتركيز على الإيجابيات.
- **الملائمة الفطرية:** بحيث لا تتعارض مع بديهيات النشأة الإنسانية ومفرداتها وتؤمن الأسباب المتلائمة مع الطبيعة البشرية واصولها وتتناسب مع سنن الحياة.

- **العراقه والأصالة:** يتيح مرور الزمن للحضارات اكتساب عوامل الصمود والتماسك حيث تتشكل هالة تاريخية وقدرة تجريبية تعطي الحضارات عوامل المناعة بفعل مرور الزمن.
- **القدرات الذاتية:** وهي الأصول التي تتبني عليها الحضارات والتي تكون في المكونات البنيوية لها. وهي العناصر الفاعلة والقوة الكافية التي تتحرك وتجاهد لإبراز خصائصها ومميزاتها. وتعود أصلاً لسماتها الجينية الخلقية. _

ولقد مرت على البشرية حضارات عديدة متنوعة، زال بعضها وإندثر وصمد بعضها ردحاً من الزمن، ثم باد، أو ذاب بعضها وتماهى في حضارات أخرى، او بقي بعضها عصياً على الفناء والإندثار، وثبت في مراحل التاريخ المختلفة. ومازال حاضراً وفاعلاً ومستمراً بشكل أو بآخر. هذه الحضارات الصامدة والمستمرة ترتبط بعوامل عديدة جعلتها قادرة على مجابهة التحديات والصعوبات والاستمرار في الحياة والتطور وفق مقوماتها وقدراتها الخاصة. وبالتالي قدرتها على مقاومة عوامل الإندثار والتراجع والخفوت والذوبان. من هذه الحضارات ما هو عريق ضارب في القدم ومنها ما هو حديث جديد متجدد. وبالإجمال فإن الحضارات العريقة التاريخية تكاد تنحصر في شرق الكرة الارضية كالصينية والهندية والفارسية والإسلامية، وتلك الحديثة نسبياً تنحصر في غرب الكرة الأرضية كالأوروبية والأميركية. أي بين عالمين قديم وحديث. على الرغم بأن التحديد الزماني والمكاني فيه اضطراب وتداخل وإنما الإشارة إلى الأمر بالإجمال أو حيث الأقلية والاكثرية. على أن هذه الحضارات توارثت فيما بينها وانسابت مع مرور الزمن وحملت تراث بعضها ومنجزاتها وتناقلته عبر الزمان والمكان. وفي ذلك يمكننا ملاحظة الأحوال الحضارية للأمم وخط سيرها عبر محطات زمنية ومعابر تاريخية ساهمت في نقل الزخم الحضاري ومخرجاته للاستفادة منه وتطويره ومتابعة سيرورته إلى الزمن المعاصر. فالحضارة الإغريقية مثلاً عبرت من خلال الزمان والمكان إلى الحضارة الإسلامية ومن ثم إلى الحضارة الأوروبية لتشهد أخيراً العالمية (العولمة).

بل إن الحضارة الإسلامية اعتبرت المعبر الرئيسي للتطور الحضاري العالمي تلك، إذ عبر هذه الحضارة إنتقل ميراث الحضارات العريقة السابقة، المفيد منها طبعاً، مثل النظم الإدارية الفارسية، وعلم الفلك الهندي والصناعة الصينية الورقية .. وغيرها مما

يصعب إحصاؤه وتفنيده. فبعض الحضارات ساهمت إيجاباً في المسيرة الحضارية الإنسانية ببعض من منجزاتها وخصائصها. فيما كان قابلية بعض الحضارات للتطور وقدراتها على التكيف عوامل مساعدة في إبقاء آثارهابين سطور الحضارة العالمية إعترفاً وتأثيراً على حضورها في التاريخ العالمي. ويبدو أن الدين كان المؤثر الرئيسي في بقاء الحضارات واستمرارها حيث الإيمان والعقيدة ترسخ الإلتزام والثبات والصبر والمجاهدة، وتعمق القدرة على البقاء والصمود. كحضارات الديانات السماوية وحضارات الأديان الفلسفية الشرقية القديمة. لكن ذلك لا ينفي عدم إنبثاق حضارات ذات طابع مادي علماني وجودي بناء على نظريات فلسفية إلحادية راجت مع عصر النهضة الأوروبي وعصر التنوير.

- **الحضارة المهيمنة**

يسود العالم اليوم رأى بأن الحضارة الأورو– أميركية هي الحضارة المهيمنة على العالم بل هي صانعة «العولمة» بعضها وقضيضها وبقوتها وطغيانها. حتى خرج أحدهم ليقول « بنهاية الحضارة»، على أساس أن الحضارة الغربية (الأورو–أميركية) هي نهاية التطور الحضاري للبشرية، وأنه ليس بالإمكان أبدع مما كان. وأن العالم اصبح خاضعاً للهيمنة الحضارية الغربية تحت عنوان «العولمة». فالعالم الغربي بما حققه من تفوق وابداع بات يتربع على قمة العالم المتحضر، يقوده ويسير أموره ويملي عليه أفعاله. لأنه الأقوى والاكثر تطوراً والاسرع تقدما وحداثة والأغنى ثراءً ومواردا. وقد حقق الغرب سيطرته على العالم إثر انهيار المنظومة الشرقية بشعاراتها الشيوعية والاشتراكية والراديكالية. وانتصار المعسكر الغربي بشعاراته الليبرالية ومنظومته القيمية التي تدعو إلى الحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان..؟؟ وبات استلهام النموذج الغربي غاية شعوب العالم للحاق بركب التطور الحضاري العالمي، في الشكل والمضمون. وبذلك فرضت هذه الحضارة الغربية هيمنتها على العالم، وباتت سيدته دون منازع، وقد لجأت إلى فرض منظوماتها القيمية بالقوة والحرب، إضافة إلى الدعاية والترويج والإعلام. وسخرت المنظمات الدولية لتكريس مبادئها ومعتقداتها وآرائها. وبدا أن العالم محكوم بهذه الحضارة الطاغية المنتصرة والقوية وما على شعوب العالم وأممه إلا الإنصياع والسير وفق ما تمليه هذه القوة الحضارية البارزة. والعالم يترقب إصدارات وإنتاجات هذه

الحضارة المهيمنة في كل الشؤون السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية... إلخ. وصار العالم أسير «موضة» هذه الحضارة وتقليعاتها وتفننها. وصار «كل شيئ فرنجي برنجي». أي كل شيئ يأتي من الفرنج مطلوب ومرغوب ورائج. وبذلك تم إمرار السم بالدسم، والخبيث بالطيب. وكان للإعلام دور خطير في نشر المنظومة القيمية الغربية، وفرضها على شعوب العالم بوسائل جهنمية شديدة التأثير. طاغية وعميقة إلى أن باتت المعاصرة هي أن تعيش الحضارة الغربية كما هي وألا فإنك خارج العصر.. ومختلف. وتربعت الحضارة الغربية على عرش العالم المصنف (عالم أول) وصارت البشرية رهينة هذه الحضارة خاضعة لها سيما وأن الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا أحكمت السيطرة على مرافق العالم ومقدراته المختلفة من خلال إبتداع نظام عالمي يتلاءم مع مفرداتها وشعاراتها ومبادئها. عالم يدعي أنه حر ديمقراطي عادل يقدس حقوق الإنسان ويحقق رقي الإنسانية وتقدمها وازدهارها.

والناظر إلى حال العالم اليوم يكاد يصعق لحجم الزيف الذي يلفه وهو يسير في تطوره الحضاري نظراً للتناقضات والالتباسات والاختلافات بين الواقع وتداعياته ومآسيه ومخاطره وبين ما يروج له من شعارات وسمات ومبادئ للحضارة الغربية المهيمنة بمظاهرها البراقة والزاهية والحميلة. بيد أن العالم اليوم يعيش من المآسي والصعوبات والمشاكل ما ينم عن سوء هذه الحضارة الغربية المهيمنة وفسادها وظلمها. بما يشير إلى خلل في تركيبة هذه الحضارة المهيمنة، وذلك من حيث ما آلت عليه تجاربها التطبيقية في المجتمعات الإنسانية وانعكاسات ذلك على حاضرها ومستقبلها. ذلك أن مسيرة التطور الحضاري الإنساني وصلت إلى مرحلة حرجة تشوبها الاخطار الجسيمة قد تؤدي في حال تماديها في غيها ومفاسدها إلى ما لا تحمد عقباه. وتبدو المؤشرات مقلقة في هذا الجانب، فقد بلغ الزيف والتناقض بين الشعارات والقيم المعلنة وبين ما هو واقع على الأرض مستوىً مؤسفاً وكمثال على ذلك:

- فالحرية ... تعني حرية القوي وتعني أيضاً إنفلاته وشذوذه ومفاسده.
- والعدالة ... كذلك عداله القوي الذي يفرض مصالحه بقوته وإمكاناته وبظلم غيره.
- والمساواة ... بين الأقوياء، فيما العالم مصنف أول وثاني وثالث، وإنسان أبيض مهيمن وإنسان ملون مغلوب على أمره.

- والديمقراطية... أيضاً هيمنة القوى المسيطرة والكارتلات والمجموعات ذات النفوذ والسلطة والقوة والمال.
- وحقوق الإنسان.. التي تفتقد إلى مصداقية تحقق فعلاً حق الإنسان في الحياة حتى باتت شماعة شكلية غير قابلة للتنفيذ.

والأخطر من ذلك انزلاق هذه الحضارة نحو فقدان إنسانيتها لتتحول بهيمية حيوانية جامحة خارجة عن السيطرة. حيث أباحت كل المفاسد والتغاض عن كل المظالم وكأن الأرض تحولت إلى غابة يحكمها الفاسدون الظلمة القابضون بقوتهم على مصائر الناس يتلاعبون بهم وفق مصالحهم وأهوائهم وشرورهم. حيث نشبت الحروب واندلعت التورات واستبيحت الحرمات والمقدسات والقيم الإنسانية والمثل العليا هذه الحضارة المهيمنة هي حضارة «القوة»، وشعارها الحياة للأقوى. إنها الحضارة الغربية المتسلطة على العالم تريد أن تبني مجدها على ركام عالم مقهور مغلوب على أمره مسلوخ من إنسانيته، ممسوخ مشوه يهوي إلى درك سحيق.

- **عولمة محتكرة**

فيما بلغته الحضارة الغربية من قوة، بدت محتكرة لأقانيم العولمة ومفرداتها حيث أنها تمكنت من الإمساك بمفاصلها وتفاصيلها فاندمجت بها. حتى كادت العولمة تفي واقعاً الحضارة الغربية، وكأنها عولمة الحضارة الغربية عملياً. لذلك أطلق بعضهم على هذه العولمة صفة (الغربية) أو (الأورو–أميركية). نظراً لكون الغرب هو المحتكر الفعلي لمنتجات هذه العولمة وبضائعها. وخصوصاً تلك التي تأخذ صفة (العولمة) ومن الأمثلة على ذلك:

- الإمبراطوريات النقدية وبنوكها وصناديقها التي تعتمد الدولار الأمريكي كعملة تقاص دولية بحيث يعتبر هذا الدولار عملة التداول الدولية الإجبارية والوحيدة والتي تتحكم بالمال والنقد وتحويلاتها العابرة للقارات. وعلى رأس هذه الإمبراطوريات النقدية موظفون يتبعون أوامر سدنة الهيكل من جهابذة الحضارة الغربية المعولمة ذات النكهة الأورو–أميركية الطاغية. وبذلك تحتكر العولمة الغربية حركة المال والنقد في العالم، وتفرض شروطها ومصالحها وقوانينها عليه. وذلك من وجهة نظر الاقتصاد

الحر الذي يعني هيمنة حركة السوق ومتطلباتها دون النظر إلى سلبياتها وآثارها التي قد تكون مأساوية ومفجعة، لأنها تعتمد النظام الرأسمالي المتجرد من الإنسانية والعاطفة القائم على القوة والمصلحة والأنانية.

- الإمبراطوريات الإعلامية التي أعادت صياغة السلوكيات الاجتماعية والمنظومات القيمية وفق توجهات العولمة الغربية واحتكرتها وباتت المهيمنة عليها. وزاد من سطوتها وتأثيراتها، الإكتشافات المذهلة في عالم الإعلام والاعلان ووسائل التواصل والإتصال. ولعبت الشاشات التلفزيونية ثم السينما دوراً في تشكيل العقل البشري وفق رؤيتها وشعاراتها ثم دخلت وسائل التواصل والاتصال الحديثة كشبكة الإنترنت والهواتف الذكية.. إلخ. لتزيد من مساحة السيطرة والتأثير على المجتمع الإنساني، والعمل على غسل الأدمغة وبناءها من جديد على المذاهب العولمية الغربية المسيطرة. ومن خلال إصدارات «هوليود» السينمائية ونشرات المحطات الفضائية العالمية وشبكاتها الإخبارية والإعلامية تم محاصرة البشرية وإغراقها في أتون البث العولمي الغربي وسمومه ونظرياته وفلسفاته. وسادت لغته لتصبح اللغة الأولى في العالم وهي اللغة الإنجليزية وباتت هدف كل إنسان ليدخل عالم الوجود.
- الإمبراطوريات الاقتصادية التي سيطرت على الاقتصاد العالمي وتحكمت بحركة التجارة والصناعة والزراعة من خلال إنشاء الكارتلات الكبرى العابرة للقارات. حيث كانت هذه الشركات الضخمة تمتلك الامكانات والوسائل التي تجعلها تتحكم بالأسواق العالمية وتحتكرها وفق مصالحها وشروطها. حتى ان بعض هذه الشركات كانت أقوى من الدول وميزانياتها تتجاوز ميزانيات عدة دول. ومن صور الاحتكار الاستثمار بالاكتشافات التقنية والتكنولوجيا المتطورة، وكذلك التحكم بإنتاج الغذاء والدواء وأسواق النفط ومصادر الطاقة .. إلخ.
- الإمبراطوريات العسكرية التي تمثلت بسياسة الأحلاف والمحاور الدولية، حيث انقسم العالم إلى معسكرين شرقي بقيادة حلف وارسو وغربي بقيادة حلف شمالي الأطلسي، يتزعم الاتحاد السوفياتي المحور الاول وتترأس الولايات المتحدة الأمريكية المحور الثاني. وبعد انهيار الحلف الشرقي وتفكك الاتحاد السوفيتي وانهزام الشيوعية. تربعت أميركا وحلفها الأطلسي على زعامة العالم. وتحكمت جيوشها وأساطيلها

بدول العالم فارضة سياستها ومصالحها على البشرية بعد أن زرعت قواعدها العسكرية في مختلف بقاع الأرض.

بهذه «الإمبراطوريات» وغيرها الكثير من وسائل السيطرة، تحولت العولمة إلى محتكرة ومسيطر عليها من قبل قوى عالمية طاغية ومقتدرة، وباتت عولمة غربية أساساً مع مؤشرات بسيطة لتفاعلات من أمم وحضارات أخرى. لذلك ربما تفقد العولمة بعض خصائصها البنيوية حينما تكون مقتصرة على جانب واحد من العالم دون بقية الجوانب، وعلى حضارة معينة دون سواها. فهي عولمة «أورو–أميركية»، أو عولمة «غربية»، إذ تفقد العولمة عندما تحتكرها فئة معينة أو جهة معينة أو حضارة معينة. من هنا فإن الحضارة الغربية هي التي صنعت هذه العولمة المنحازة والموسومة واحتكرتها وتسلطت من خلالها على شعوب العالم ترفده من إنتاجاتها الغزيرة والمتدفقة في كل شؤون حياته وحاجاته وضروراته ورغباته وهواياته...إلخ. وبذلك تحكمت بهذا الإنسان على مساحة الكرة الأرضية بنسب متفاوتة وأساليب متنوعة وتأثيرات مختلفة من غير أن يكون له حول ولا قوة، بالنظر إلى جبروتها وقوتها وطغيانها. فما تنتجه الحضارة الغربية تغرقنا في خضمة وتجبرنا على الانصياع له وتلزمنا سلوكياته ومظاهره ومفرداته مما بات يعرف «بالعولمة» ذات الحضور الطاغي في أدق تفاصيل حياة الناس اليومية الذين ينتظرون ما تمن عليهم هذه العولمة من بركاتها.

- **هل تنتهي الحضارة ..؟؟**

هل أعلن فوكوياما نهاية التاريخ..؟؟ حسب رأيه، وذلك بانتصار الرأسمالية العالمية وفوزها وسيطرتها على العالم بعد انهيار المعسكر الشرقي الشيوعي المنافس وتفكك الاتحاد السوفيتي ومنظومته الاشتراكية. وأن التاريخ الحضاري قد انتهى بإعلان سيادة الحضارة الغربية الرأسمالية المسمى (العالم الحر). لكن هنتنضتون يخالف فوكوياما في قضية انتهاء الصراع، إذ يؤكد الحاجة إلى ديمومة هذا الصراع الحضاري لإتمام سيادة الحضارة الغربية (الأورو–أميركية). على أن الحضارات التي تتجه للعولمة والتشكل في حضارة واحدة أصبحت تمتلك من الوسائل والقدرات ما يؤدي إلى فناء وانتهاء حضارة الإنسان على هذه الارض. ذلك أن تصاعد قدرات الإنسان وتزايد إمكانياته في امتلاك الوسائل والادوات التي تؤدي إلى هلاكه تضعه أمام مسؤوليات خطيرة تتعلق بمصيره

ووجوده. والبشرية تشهد سباقاً محموماً للسيطرة والنفوذ بغطاء عنصري واستراتيجي بهدف الهيمنة على العالم. لذلك ظهرت فلسفات تلمح إلى قرب انهيار الحضارة الإنسانية وهلاك البشرية، منها من أعلن الوصول إلى الكمال في الرقي الحضاري للإنسان بسيادة الحضارة «الأورو–أميركية « المعولمة بأفكارها التحررية وسيادة قيم الحرية والمساواة والديمقراطية وحقوق الإنسان...إلخ. وانتصار المعسكر الغربي في الحرب الباردة التي تمثل المصلحة النهائية للمعركة الأيديولوجية. وبالتالي انصياع ورضوخ حضارات العالم للحضارة الغربية المنتصرة. لذلك بشر فوكوياما بنهاية التطور الحضاري الإنساني بما أعلنه عن هيمنة الديمقراطية والليبرالية وانتصار الغرب معا. فلا جديد بعد الآن.. فالجديد قد حدث وانتهى، وتم اعتماد النظام الحر وبالتالي قد أقفل باب التاريخ. فالديمقراطية الليبرالية قد غزت أرجاء العالم بكنوز اقتصاديات السوق. وفي الواقع، لقد انتهى التاريخ (فلسفياً) مرات عدة قبل ظهور فوكوياما، بداية مع القديس أوغسطين وفكرته عن مدينة الله. وعند وميكيافيللي في عصر النهضة وفكرته عن الأمة. وعند نور العقل لفولتير. وطبيعة الإنسان الاجتماعي واللا اجتماعية عند كانت. وكمال الدولة البروسية عند هيجل. هذا بالإضافة إلى المجتمع اللاطبقي عند ماركس... ثم ثبت أن التاريخ مازال يسير في حركة مطردة ومستمرة دون توقف أو انتهاء. فلقد أثبتت التجارب أن ما تم التهليل له من انتصار للديمقراطية الليبرالية وتتويجها على قمة النظام العالمي، إنما تعيش سلسلة أزمات وصعوبات ادت إلى صراعات وتناقضات ومآسي، جعلت تجربتها سلبية ونتائجها كارثية بدليل المآسي والويلات والظلم والقهر والفقر الذي يلف العالم اليوم. إن الحضارة تنتهي عندما تفقد مشروعيتها ومصداقيتها وأصولها. ونهايتها تعني حرفيا زوال البشرية وانقضاء الحياة على وجه الارض. ويكون ذلك عندما تتحول الحضارة إلى المادية والمصلحية المتجردة من القيم والمبادئ الإنسانية. فيصبح الإنسان مجرد آلة بلا إحساس ومشاعر وأهداف سامية وغايات مثالية تتجاوز الحيوانية الغريزية المتوحشة القائمة على تأمين إشباع الغرائز والرغبات دون ضوابط ودون آفاق حكيمة تراعي الهدف الأساسي للوجود البشري على هذه البسيطة. باعتبار الإنسان حامل أمانة الرسالة الإلهية والمناط به ريادة الكائنات وقيادتها إلى حيث خلاصها ونجاتها وسعادتها. قد تنتهي الحضارة عندما تفقد مبرر وجودها وترتكس إلى نقيضها، وتتخلى عن مكتسباتها ورصيدها التاريخي الذي ساهم فيه شعوب وأمم عبر الزمن، وانتهى إلى

إبراز مشروعية التطور الحضاري عندما لاءم السيرورة المتوازية للتقدم الإنساني التي حافظت على روحية المكتسبات الحضارية بالرغم من بعض الانتكاسات والاختلالات في مراحل معينة من التاريخ الإنساني. لذلك وفيمانشهده من مساوئ ومفاسد النتاج الحضاري الغربي المعولم، نرى أن الحضارة قد تشهد مؤشرات جدية على الانحدار المخيف الذي قد يؤدي فعلاً إلى نهاية الحضارة. ومن سمات هذه الحضارة المزيفة عنصريتها وتجبرها وعدم اعترافها بغيرها من الحضارات واعتدادها بما تملكه من قدرات ووسائل السيطرة والهيمنة. وبالتالي تفردها باللعب بمصائر الناس وحاضرهم ومستقبلهم. لكن البشرية قادرة على مقاومة هذا الطغيان الحضاري الفاسد والظالم. وذلك من خلال منظومات حضارية أخرى ما زالت قادرة على إعادة التطور الحضاري الإنساني الى مساره الطبيعي الذي يتلاءم مع إنسانية الإنسان وقيمه ومبادئه ومثله العليا التي تتجاوز الحاجات المادية والرغبات الحيوانية إلى آفاق سامية نابعة من إيمان عميق بأن رسالة الانسان اخطر بكثير من مجرد تحقيق متطلباته المادية، وأن الانسان محكوم بمعتقداته وتراثه الروحي الذي يجعل رسالته أكثر سمواً وشمولاً ورقياً. وأن أي مخالفة لفطرة الإنسان ومنظومته المعنوية ستودي به إلى مالا يحمد عقباه. وتكون هناك نقطة البداية لنهاية الحضارة. لقد تحولت الحضارة الغربية المادية المعولمة إلى ميدان للتكالب على المكاسب وتحقيق المصالح واستباحة الحرمات ومرتعاً للشذوذ والفسق والفجور والرذيلة. فأصبح الإنسان فيها مطيعة لأهوائه وشهواته ورغباته تحت شعار كاذب الحرية وحقوق الانسان. فقد أطلقت هذه الحضارة في الإنسان نزعات الشر وحب السيطرة والأنانية، حولته إلى مسخ فقد إنسانيته وقيمته ونازع فطرته وخالف طبيعته. من هنا تبدو الحضارة في نزاع واحتضار وجنوح نحو الزوال. وقد ظهرت العديد من الدراسات التي تشيرإلى جنوح البشرية وانحدارها في أتون الفوضى والظلم والكراهية والتنافس المصلحي للاستئثار والهيمنة والتسلط والطغيان. وليعود الإنسان إلى بداياته في ما قبل التاريخ. إنسان الكهوف والعصر الحجري. بعدما يكون قد دمر حضارته وأفناها بأسلحته الفتاكة والتي لا تبقي ولا تذر لتنعدم إمكانية الحياة على سطح الارض. تنتهي الحضارة بتخلي الإنسان عن دوره ورسالته التي أوكلها الله إليه. وخروجه عن فطرته وطبيعته، ليعود مجرد حيوان ناطق تسيره غرائزه وتتحكم به شهواته. وأما ان ينتهي التاريخ بهيمنة الحضارة الغربية الليبرالية، فيبدو ان لعنة التاريخ سوف تلحق بهذه الحضارة إذا لم تتخلى عن عنجهيتها

وصلفها وكبريائها وتشارك الحضارات الأصلية في صياغة مستقبل البشرية لتنجو من مصيرها المحتوم.

- **صراع القيم... مفاهيم ملتبسة**

والمقصود بالقيم، المبادئ والأصول والقواعد التي تتحكم بالمجتمعات الإنسانية باعتبارها ناظمة لشؤونها وضابطة لتصرفاتها راعية لخصائصها. ولقد اكتسبت الأمم والحضارات قيمها من معتقداتها وفلسفاتها وثقافتها المتوارثة عبر الأجيال. وتصبح هذه القيم مقدسات مرتبطة بالمثل العليا للأمم، وتصبح شاهدة على تراثها الحضاري الممتد والعريق. ومن أهم وأشهر هذه القيم تلك التي تصدر عن الديانات السماوية المعروفة: اليهودية والمسيحية والإسلامية. والتي تستمد تعاليمها من كتبها المنزلة: الزبور والتوراة والإنجيل والقرآن. هذه القيم ذات طابع اختلاقي مثالي شمولي يسمو بالإنسان إلى مرتبة رفيعة باعتباره خليفة الله على الأرض ليقوم بعمارتها وريادة كائناتها وبإقامة مجتمع العدل والحق والإنسانية الحقه. ومن ثم عرفت الأمم الأخرى والحضارات نظماً ومبادئ وأصولاً ناتجة عن تصوراتها للحياة والموت والوجود الإنساني في هذا الكون. واتسمت بعض هذه القيم والمبادئ بتفاوت الرؤية حول العديد من القضايا المرتبطة بالسلوك الإنساني وممارساته وأهدافه. ومنذ قامت حضارة الإغريق بمحاولة تنظيم المجتمع على أسس معينة، تباينت إتجاهات القيم الحضارية للمجتمعات الإنسانية فبعضها في حقبة من الزمن فرض الطبقية وشرع الرق وحلل السفاح ونظم القتل المتعمد...إلخ. وعندما حاولت أمم بلاد ما بين النهرين تنظيم شؤونها، شرعت ما إعتبرته شرعياً وحرمت ما ظنته حراماً. وجاءت تشريعات حمورابي البابلية صورة للنتاج القيمي للمجتمع آنذاك. وقد تبلورت المنظومة القيمية للمجتمعات البشرية وتطويت مع إتساع رقعة التحضر والمدنية في الإمبراطورية الحاكمة. والمهيمنة على العالم آنذاك. وعرفت مجتمعات الشرق الأقصى الفلسفات البراهميه والكونفوشيسيه والبوذية ...إلخ. كما عرفت منطقة الشرق الأدنى الزرادشتيه المجوسية. فيما كان الرومان يحافظون على آلهتهم ذات الجزور الإغريقية. وكان لكل أمة قيم ومثل عليا قد تتشابه وتتقاطع مع بعضها، وقد تختلف وتتعارض مع بعضها الآخر. وبالإجمال فقد كان الإنسان أسير قيمه ومبادئه شعاراته وديناته. ولقد تمكنت المسيحية كديانة سماوية من تصويب مسارات القيم الإنسانية

بعدما اتخذتها الإمبراطورية الرومانية ديانة لها. ومن ثم طرأ عليها ما يحرفها عن طريق الصواب، حتى ظهرت رسالة الإسلام السماوية أيضاً لتكمل مسيرة الدين القيم، وكجزء من حركة التصويب الربانية للدين الحق منذ آدم إلى موسى وعيسى وانتهاءً بمحمد صلى الله عليهم جميعاً وسلم. ومنها قيم ومثل عليا ومبادئ تتناسب وفطرة الإنسان وطبيعته وخصائصه. لكن المشكلة الكبرى كانت في اختلاف المفاهيم حول بعض القيم وتفاوتها وربما تناقضها كما ظهرت من خلال مسيرة الحضارات الإنسانية التي تلاعبت بهذه القيم والمبادئ وسخرتها لخدمة مصالحها وأخضعتها لمنظورها الخاص. واستخدمت المفاهيم القيمية المطلقة لتبرير نظرة هذه الحضارات لها من منطلق رغباتها وحقوقها وأنانيتها.

وفيما يتعلق بالحضارة الغربية فإن منظومة قيمها خرجت من مفاهيم الحقيقية لتستخدم في المشاريع سلطوية وخضعت لموجبات مصالح القوة المهيمنة فيها. فقيم الحضارة الغربية ومبادئها وشعاراتها كادت تناقض نفسها، فالحرية إنفلات وفوضى ومفاسد وشذوذ والديمقراطية تحكم القوى النافذة بتلك الأضعف واستئثار وطغيان. والمساوات تعني نوعاً خاصاً من البشر فيما يكون هذا النوع سيداً على غيره أعلى منه مكانة، وبالتالي صار المجتمع عبارة عن طبقات متفاوتة ومتناحرة. أما حقوق الإنسان فقد تآكلت وشرعت حقوق تنفي إنسانية الإنسان وتجرده من حقوقه الفطرية وطبيعته البشرية. وهذا ما جعل الحضارة الغربية المعولمة تبدو تتناقض وشعاراتها. وقد ظهر ذلك كله خلال تطبيق هذه المفاهيم القيمية في المجتمعات الغربية. لذلك وقع الالتباس والحيرة مما أدى إلى جنوح هذه الحضارة وخروجها عن ما تدعيه من أسس إنسانية، وتحولت إلى سلسلة من التناقضات والالتباسات حتى طغت عليها صفة المادية. لذلك فإن الحضارة الغربية وهي تحقق إنجازاتها المادية الخارقة باتت تشكل خطورة على المسار الإنساني بما تحمله من عوامل الشر والظلم والطغيان. وربما هي بحاجة لاستعادة توازنها بالإستفادة من الحضارات الأخرى الصامدة، والتي تتمتع بقدرات كامنة وانسجام متلائم مع قيمها الحضارية الإنسانية الحقة. وبات على الحضارة الغربية التنازل عن عنجهيتها وصلفها وتتواضع لتشارك الحضارات الصادقة والمستمرة والمتناسبة مع ما يحفظ للإنسانية العريقة قيمها وكرامتها ومكانتها وسموها. فمفاهيم الحضارة الإسلامية مثلاً لا إلتباس فيها واضحة كالمحجة البيضاء، ومنظومتها القيمية حقيقيه وراسخة

ومجربة ومحمية، لأنها ربانية نابعة من مصادر ثابتة غير قابلة للتحريف والتزييف والتلاعب. فالإنجازات المادية الخارقة للحضارات الغربية قد تكون وبالاً على البشرية إذا لم تضبطها قيم إنسانية متلائمة مع رسالة الإنسان على الأرض. والحضارة الغربية بحاجة ماسة لمنظومة القيم الإسلامية حتى تتمكن من الحفاظ على مكتسباتها وانجازاتها، وإلا فإن العواقب وخيمة في ظل إنفلات الإنسان من قيمه وضوابطه وثوابته. والعالم اليوم تحكمه مفاهيم كاذبة منافقة لاتعبر عن حقيقتها. بل إن الحقيقة المرة أن هذه القيم هي المناقضة تماماً لها، فقد عادت العبودية بأشكال مختلفة وساد الظلم والقهر وانتشر الفساد وعمت الرذائل وضاعت الحقوق تحت وطأة القوة المهيمنة. لذلك لا بد من إعادة النظر بالنظومات القيمية المتحكمة بالحضارة الغربية المعولمة، ولا بد من إزاله الالتباس والفوضى والضياع حول ما تطرحه من شعارات وما تعلنه من مبادئ. ولا بد من إعادة الاعتبار للحضارة الإسلامية بإشراكها في في إصلاح ما أفسدته الحضارة المعولمة الغربية. وإلا فإن البشرية ستشهد المزيد من الشرور والمظالم والمآسي والويلات. وهذا ما يحدث اليوم في العالم.

- **قوة الحضارة... أم حضارة القوة ؟؟! ..**

إمتلكت بعض الحضارات قوة فائقة مدمرة وأسست إمبراطوريات عظيمة حكمت أمماً وشعوباً وبلاداً شاسعة. قوه تميزت بقدرتها على الانتصار واجتياح بلاد وشعوب أقل منها قوة وعظمة. ولكنها كانت تعتمد على مجرد القوة العسكرية والعددية. فكم من حضارات مزدهرة طمستها شعوب همجية متوحشة تمتلك القدرة على الحرب والقتال وتعتمد على الكثرة العددية والبطش والعنف. حضارة إذا جاز التعبير تقوم على القوة المجردة والتفوق العسكري. كما جرى للحضارة الفرعونية عندما اجتاحها شعب الهكسوس الهمجي ودمر منجزاتها إلا قليلا. والحضارة الرافدية المتألقة عندما اجتاحتها قبائل الحثيين وقضوا على كثير من إبداعاتها. والحضارة الرومانية عندما اقتحمتها قبائل الهون البربرية وأعملت فيها التدمير. والحضارة الإسلامية عندما غزتها قبائل المغول ودمرت عاصمتها والكثير من منجزاتها .. إلخ. وغيرها من الامثلة التي تشير إلى أن حضارة القوة كانت وبالاً على البشرية، زرعت الدمار والخراب وخربت الكثير من الإنجازات الحضارية للأمم والشعوب المتحضرة وللمدنية بشكل عام. لكن المفارقة أن هذه الحضارات التي تعتمد

على مجرد القوة ما فتأت أن تأثرت بقوة الحضارات الراسخة التي هزمتها واندمجت رويداً في رحابها وتماهت نسبياً مع غريمتها ليتم التلاقح والتواصل والعودة إلى سيرورة الركب الحضاري من جديد. ذلك أن الحضارات القوية هي التي امتلكت مقدراتها وعملت على تطوير إمكاناتها وزيادة تمدنها وعمرانها ورخائها ورفاهتيها. لذلك تمكنت من الصمود والاستمرار عبر العصور ومراحل التاريخ. وبقاء هذه الحضارات واستمرارها دليل على صلابة أصولها وتجزر تراثها وفعالية قيمها. لكن ديمومتها تعتمد على إمكانياتها الذاتية التي تحفظ خصائصها التي تأبى الفناء من خلال عوامل التجدد والابداع في مكوناتها. لذلك فإن الحضارات الصامدة في التاريخ المعاصر تكاد تقتصر على عدد محدود مازال يكافح للبقاء خاصة في ظل هيمنة الحضارة الغربية الأورو–أميركية تحت مسمى العولمة. ومن أبرز هذه الحضارات العريقة الصامدة، الحضارة الإسلامية التي مازالت تتمتع بالحيوية والمرونة والاستمرار. وهي متجزرة في ملايين البشر الذي مازالوا يؤمنون بهذه الحضارة ويدينون بقيمها ومبادئها بالرغم من تعرضهم لأشرس عمليات الغزو والاخضاع والسيطرة وغسل الأدمغة بكل وسائل الترهيب والترغيب والاحتواء القرنين التاسع عشر والعشرين. بعد أن تم الإجهاز على الخلافة الإسلامية وتمزيق العالم الإسلامي إلى كيانات متناحرة. وعلى كل حال فإن قوة الحضارة تختلف إختلافاً جذرياً عن حضارة القوة، فالحضارة التي تعتمد على مجرد القوه والمقصود هنا القوة العسكرية والبشرية فيما لا تمتلك من مقومات الحضارة بمعانيها المدنية والحداثة والعالمية النصيب القليل أو قد تكون معدومة. ولكن الحضارة الحقيقية تلك التي تمتلك عناصر قوتها ومبادئها وانجازاتها الإنسانية.

وفي عصرنا الحاضر تبدو الحضارة الغربية المعولمة والمهيمنة على العالم وكأنها حضارة القوة، خاصة عندما راحت ترتع في الأرض غزو واحتلالاً واستعماراً تحت شعارات كاذبة بحجة مساعدة الشعوب المتخلفة والأرض بيدها الى مدارج تلحضارة والتقدم والمنية .لذلك طرحت مصطلح (استعمار) المزيف الذي يعني في أصله الإعمار والبناء والازدهار، فيما ثبت ان هذا المصطلح، إنما هو ستار للغزو والإحتلال واستغلال الشعوب ونهب ثرواتها لصالح رفاهية الثوى الاستعمارية المهيمنة وشعوبها. فهي بذلك تكون تحت مفهوم «حضارة القوى» وقوتها ليست مجرد همجيتها ووحشيتها وامتلاكها

وإنما تقديسها للقوة واعتمادها فلسفة السيطرة والقوة والطغيان وفرض مبادئها على الآخرين واستحلال الاستيلاء والسرقة والنهب بفعل عوامل القوة بفائضها الحضاري. هذه هي حضارة القوة التي اشاعت شعاراتها وفرضت سماتها وروجت لمنتجاتها مستندة إلى قوتها. بينما الحضارة الحقيقية التي تمتلك فعلياً قوة من عظمتها ورقيها وسموها فهي قوة حضارية مستندة إلى أصالتها وإنسانيتها وقيمتها وسمو غاياتها ومثالية أهدافها وعدالة شعاراتها وصدقية ممارساتها. هذه القوة الحضارية تنبع من السبب الحقيقي لوجود الإنسان على هذه الأرض ليعمرها ويبنيها ويرعاها ويقيم فيها حقيقة لا تجاوزاً العدل والحق ويرقى بنفسه وعالمه نحو خالقه الذي استودعه أمانة الحياة وخلافته في الكائنات ليسوسهم وفق شريعة الله خالقهم ويرقى بالحياة نحو السماء الرحبة والعوالم اللامتناهية لتشهد عظمة من أقام الكون على الحق وأمر بالتقوى ودعا إلى عبادته للفوز بسعادة الدنيا والآخرة. وتكمن المشكلة الخطيرة في خروج الانسان في حضارة القوة عن طبيعته الفطرية واكتسابه قدرات متفوقة إستدرجته إلى ارتكاب الفظائع والويلات ودفعته للصلف والغرور والتجبر حتى على سبب وجوده وخالقه. إن إعتداد الإنسان بقوته وقدراته الفائقة دفعته إلى إستلهام حضارة القوة فأرتكب بسببها المحرمات وعاث في الأرض فساداً وأشعل حروباً أودت بملايين الارواح ودمرت مدناً وسحقت شعوباً. وبالإجمال فقد بلغ الظلم مداه والفساد أيضاًوإذا بالحضارة الغربية المعولمة تحول إنجازاتها إلى مصائب ومظالم معتدة بقوتها من هنا فأن القوة الفاشمة تحيل الحضارة إلى إنحطاط وتخلف وإن كان ظاهرها مغلفاً بالمدنية والرقي والتقدم. فأي حضارة تعيد الإنسان إلى بهيميته وتحيله الى حيوانيته متنكرا لإنسانيته وفطرته معتدا بما توصل إليه من قوة وطغيان. وهذا ما ينطلق على الحضارة الغربية التي تحولت الى حضارة عالمية وحولت العالم الى ميدان للصراعات والتنافس على الهيمنة والاستثمار. وتبدو هذه الحضارة تسير باندفاع نحو منزلق خطر قد ينهي حضارة القوة مع زوال الحياة على الأرض. لذلك فالأمل مقعود على قوة الحضارة الكامنة في الحضارة الاسلامية التي لديها من الخصائص ما يمكنها من إنقاذ البشرية من الزوال. لأنها حضارة ربانية تحقق للإنسان إنسانيته وتعيد له قيمته ودوره الحقيقي هذه الدنيا. وهي قوة الحضارة التي لا تزول وتبقى مادام الإنسان متصالحاً مع نفسه متعلقاً بخالقه مدركاً لمهمته السامية في الكون.

- **هيمنة وتسلط.. عولمة قهرية**

تتخذ العولمة صورة جبرية بأدواتها وأساليبها وإمكانياتها الفائقة بنسب متفاوتة على نواحي الدنيا، لكن تأثير هذه العولمة اصبح قدراً مقدوراً،لانها سيطرت على كل مناحي الحياة البشرية. فهذه العولمة تمسك بمفاصل الحياة الاجتماعية والاقتصادية فضلاً عن السياسية. والعالم كله اصبح اكثر ترابطاً وتواصلاً وتأثراً. لذلك ظهر مصطلح « المجتمع الدولي»، وكأنه إطار واحد لأمم العالم، بحيث تكون الارض بأكملها مجال تفاعلها وتعايشها. وفي هذا المجتمع إعتمدت العولمة كنظام حاكم وذلك بفرض شعاراتها ومبادئها وقيمها، وهي نتاج تطور الفكر الليبرالي وهيمنة تعاليم النظام الديمقراطي المطور في العالم الغربي (الأورو–أميركي)، وسيطرة النظام الرأسمالي الاقتصادي الذي يعتمد حركة السوق من عرض وطلب. وبفعل العولمة الطاغية خضع العالم لهذه القواعد الصارمة المهيمنة سيما وان دعاتها هم القوى العالمية المسيطرة بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية الت تأخذت على عاتقها فرض نظامها هذا بالترغيب والترهيب وبأساليب جهنمية جعلت العالم خاضعاً لرغباتها واوامرها. وسار العالم نظام تحكم عن بعد مركزه واشنطن تسانده عواصم الغرب وبعض الشرق الذي إلتحق طوعاً او كرهاً بالغرب وبعولمته يفعل ضعفة وتخلفه وحاجته الى من يسانده ويمده يعوامل البقاء، حتى وصلت لوثة العولمة هذه الى اماكن تعتبر معادية للهيمنة الغربية في الشرق الاقصى والعالم الروسي.لكن نظام العولمة هذا كان طاغيا بجميع مندرجاته وانواعه وصفاته. خاصة وانه يتمتع بالقدرات والامكانات الفائقة، ويتحكم عملياً بمجريات حاضر العالم ومستقبله. ولإن كانت منتجات هذه الحضارة الناحية المادية والتقنية التقنية والتكنولوجيا من ضرورات الحياة العصرية وهي باتت واقعاً ملموساً لا مفر منه إلا ان منظومة القيم والافكار والمبادئ النابعة من هذه العولمة تبدو في اتجاه خطير سيؤثر على مسار حياة الإنسانية على الارض ويوردها الهلاك في حال استمرارها في تغولها وفسادها وظلمها وانحرافها. فقد تحولت نواميس هذه العولمة وشعاراتها اي كابوس قد لا تتمكن البشرية من تداركه في حال استفحاله واستشرائه، وهذا ما تظهر مؤشراته طافية على سطح المجتمع الإنساني منذرة بما يؤدي الى خطر فتاء الانسان وهلاكه. وأخطر ما قي هذه العولمة أنها بلا أخلاق. وبلا ضوابط، بل هي إباحة مستباحة لعوامل الشر

في النفس البشرية تخرج الإنسان من انسانيته وتحوله الى كتلة من الرغبات والشهوات والمتع. يستهلك الانسان نفسه وروحه في سباق مع الملذات والمكاسب لا يردعه رادع من ضمير ولا دين. فقد تخلت العولمة عن الجانب الروحي من الانسان وركزت على الجانب المادي ومتطلباته.لا بل شرعت قيماً ومبادئ منافية لإنسانية الإنسان ومغايرة لفطرته. وعززت نوازع الشر والأثره والأنانية والمصلحة الخاصة. واستحالت حياة البشر الى ميدان سباق محموم من غير ضوابط أخلاقية وانما بتشريعات قانونيه يسهل التلاعب فيها وتسخيرها لمصالح الأقوياء. ويبدو ان هذه العولمة القهرية قد تمكنت من التحكم بالمجتمع الإنساني وفرضت عليه رؤيتها للأمور، وتحالفت القوى العالمية ذات المصلحة مع نفسها مشكلة قوة عالمية طاغية متسلطة تفرض مصالحها وأهوائها على العالم من غير حول له ولا قوة.

ولقد تحكم هؤلاء الأقوياء من جهايذة العولمة بمصائر الأمم والشعوب، وفرضوا حضاراتهم واساليبهم معتبرين انهم وصلو الى قمة التحضر والرقي بنظمهم وشعاراتهم وقيمهم، حيث وصلت الحضارة العالمية الى محطتها الاخيرة، على حد تعبير فوكوياما. وما على الامم والشعوب الا الرضوخ لهذا التنين العظيم العالمي ويلتزم تعليماته وينفذ اوامره تحت طائلة هلاكه وفنائه في حال مقاومته او رفضه او ممانعته. اما ماتبقى من آثار لبعض الحضارات القديمة،ومنها الحضارة الاسلامية الاكثر قدرة وصموداً، فما عليها الا الاستسلام والتسيلم بانتصار الحضارة الغربية (الأورو–أمريكية) المعولمة والتخلي عما قد يكون ما زال حياً في ضمائر بعض الشعوب المتخلفة والملتزمة حضارة الاسلام من منطلق إيماني ديني معنوي وهنا يكمن الخطر الداهم، إذ ان قوة الإيمان والإرتباط بوحي السماء هو السبيل الصحيح لتقويم مسار البشرية واصلاح حالها بعدما عبث بها المبطلون والفاسدون وركنوا للأرض منقطعين عن الجانب الروحي، وكان الإنسان فقط من المادة بينما الروح منكرة ومرزوله باعتبار ذلك مجرد خرافات وخيالات وادعائات. على كل حال فإن هيمنة المادية وتداعياتها ونتائجها، جعلت العالم يعيش في قلق وإضطراب باعتبار سيادة الظلم والطغبان بفعل القوة والقدرات الفائقة. ولا سيما بأن أمم الأرض تعيش هي أيضا في حال استلاب بالنظر الى عدم قدرتها على مقاومة المغريات واستدراجها الى ميدان العولمة الغربية لإفتقارها إلى المقومات المقاومة

والانعتاق من هيمنة اساليبها الجهنمية التي دخلت بقوة وخبث الى عمق تفاصيل حياة الشعوب وحاجاتها وضروراتها. لذلك فالعالم اليوم منقسم الى عالمين،غني في شمال الكرة الارضية وفقير في جنوبها. عالم قادر يمتلك القوة والامكانات وآخر ضعيف يفتقر الى مقومات الحياة. والعالم الغني لديه حضارة معولمة شرسة لها سدنتها وكهنتها تعمل وفق قوانينعا ومبادئها المادية الأخلاقية. اما العالم الفقير فيعيش حالة إنكار وضياع نتيجة اخضاعه لنواميس الحضارة الغربية المهيمنة بعدما انكر تراثه الحضاري العريق بحجة إنتهاء صلاحيته وإفتقاره لمقومات الصمود والبقاء فضلاً عن الاستمرار. ولذلك تخلت معظم شعوب العالم الجنوبي، الفقير، الثالث،عن أصوله الحضارية وتراثه وموروثاته لتلتحق بالقوة الحضارية الغربية المعولمة المهيمنة على مقدرات العالم. إما لضعف إنتمائها الحضاري لأصولها، وإما لضعف حضارتها أصلاً كما جرى لبعض الحضارات عبر التاريخ، عندما افلت لإنتفاء قدرتها على البقاء وبادت بعد ان سادت. ويبدو ان هذه العولمة الغربية الجبارة قد نجحت، نسبياً حتى الآن في الإستيلاء على حضارات العالم بحجة التحديث والتطوير والمعاصرة. ولم يتبقى إلا مقارمة من حضارة واحدة لازالت عصية على الاندثار، ومازالت تمتلك قدرات ذاتيه وإمكانات هائلة كامنة بالرغم مما تعانيه من ضعف وتضعضع. بل إن هذه الحضارة هي ما تبقى للبشرية من أمل لاستعادة التوازن في الحياة الإنسانية في مواجهة طغيان الشر الذي يجتاح العالم بحضارته الغربية المادية المعولة. ذلك لأن هذه الحضارة الأصيله غير قابلة للزوال كونها ربانية المصدر من صنع رب السماء الذي أقام الحياة عل الأرض ليحيا الإنسان بجسده وروحه. ولن تستقيم له حياة إلا إذا عاش وفق ما كان مقدراً له عبداً لله، ومن هنا تبدأ المعالجة ؟!

- **إنه غزو... حضاري... ؟؟!**

والغزو والسيطرة على الشيئ إخضاعه وإستلابه، فما الحضارة أمر مستحب ومرغوب ومطلوب، إلا إذا كان فيها زغل وشر وفساد. فأن يتطور الإنسان ويتقدم ويحسن من أساليب حياته ويسعى الى رفاهيته، فهذا هو التحضر الحق. أما أن تكون الحضارة شعاراً زائفاً للهمجية و الاستغلال والرذيلة، فإنها لعمري رجعية وانحطاط وارتكاس. وعندما تكون الحضارة هي حضارة القوة والظلم والطغيان وتسعى للاستبداد والهيمنة

والسيطرة، فإنها حضارة غزو وامتهان للشعوب الضعيفة والعاجزة. وها هي الحضارة المزيفة الغربية (الأورو–أميركية) المعولة تجتاح أمم العالم بغطرستها وقدراتها المادية الفائقة، وما على البشرية إلا الرضوخ والاستسلام كما بشر علماؤها ومنظروها باعتبارها نهاية المطاف وغاية الوجود ومختتم التاريخ. وما على أمم العام الا الرضوخ لقيم هذه الحضارة وقوانينها .بدليل الآتي:

- هيمنه الدولا الأميركي على مالية العالم ونقده، فالكل خاضع لقوة هذه العملة الأميركية الطاغية ولا يستطيع أحد لإنعتاق من سطوتها وطغياتها. ولا خروج عن نظامها وترتيباتها.
- هيمنة النظام الرأسمالي الحر على الإقتصاد العالمي، وهو النظام الاورو–أميركيي حيث الإحتكار والكارتلات وحركة السوق في العرض والطلب الذي تتحكم فيه امبراطوريات الشركات الضخمة الغربية.
- هيمنة اللغة الإنجليزية وهي لغة العالم الغربي الأولى وتصدرها لغات العالم بالرغم من ركاكتها. فالعالم مجبر على تعلم هذة اللغة ليصبح قادراً على التفاهم مع غيره في حضارة للغرب المعولمة.
- هيمنة النظام الديمقراطية كنظام سياسي مفروض من قبل القوى العظمى المهيمنة على العالم وعلى رأسها (أميركا وأوروبا). فعلى الدول أن تلتزم تطبيق هذا النظام السياسي تحت طائلة النبذ والمعاقية .
- هيمنة أسلوب الحياة الغربية والثقافة (الأورو–أميركية) على حياة الشعوب في الذوق والفن وطريقة المعيشة والاهتمامات وغير ذلك.

وهكذا فالحضارة الغربية نصبت نفسها إلهاً يتحكم بمصائر الشعوب وخياراتها بعدما توصلت إلى كونها نهاية الحضارة ومنتهى آمال البشرية في الرقي. وعلى هذا سعت إلى غزو العالم بأدواتها وأساليبها وإمكانياتها. حتى أنها لم تتوانى عن اللجوء إلى إستعمال القوة العسكرية لفرض إرادتها فأسبتاحت بلاداً وشعوباً وإستعمرت ما يحلولها من جهات الأرض. وها هي أساطيلها وقواعدها وشركاتها مزروعة

في مشارق الأرض ومغاربها. واستكملت هذه الحضارة القوة الغربية هيمنتها على العالم بتشكيل حلف عسكري عالمي بمتلك قدرات عسكرية هائلة وقوة نووية مدمرة. هذه القوة الهائلة تهدف لفرض الغربية وقيمها ومصالحها وأهدافها. فمن لا يرعوي بالترغيب والتحبيب ووسائل الدهاء ودس السم في الدسم، فإن القوة بالمرصاد. هذه القوة التي إذا ما إنفلتت قد تودي إلى فناء البشرية . وبذلك حققت هذه الحضارة الغربية المادية أهدافها بالسيطرة على العالم وصارت الحضاره الغربية تحت مسمى «العولمة» زوراً وبهتاناً وظلماً وعدواناً، على كل حال الغزو المهيمن على العالم قد تحقق وباتت الشعوب خاضعة لمزاجية حكام العالم الجدد الذي فرضوا سياساتهم على العالم كما فرضوا تقاليدهم وقيمهم وقوانينهم، وهي نتيجة نظرياتهم وفلسفاتهم وخلفياتهم الفكريةز وظهر أن هذة الحضارة الغربية المعولمة هي قوة طاغية ظالمة فاسدة مادية بدليل ما وصلت إليه البشرية من ظلم وفساد وتردي في الأخلاق وتفشي الرذيلة والإباحية والشذوذ. وصارت المجتمعات تعيش على الإستهلاك والإستمتاع بالملذات. ومن هذه المجتمعات التي غررتها الحضارة الغربية المادية المعولمة، تلك التي ما زالت تنتسب إلى الإسلام كدين ومازال فيها بقية من إرتباط بالإيمان والأخلاق والقيم الإنسانية السامية، ومازالت هذه المجتمعات تقاوم الغزو الحضاري الغربي بالرغم من نسبياً بشكل أو بآخر ونفاذه إلى يوميات الناس بواسطة وسائل التواصل والإتصال وبفضل نظام الهيمنة العالمي المتحكم بكل شؤون الحياة، مما يستدرج الناس إلى الوقوع في حبائل هذه العولمة الغربية وتوقعهم في شرورها ومفاسدها ومظالمها. وهذا ما بدأ يحدث في الشعوب الإسلامية حيث إستبعد الإسلام عن إدارة وقيادة المجتمعات، بل وجرت محاربته والتضييق على دعاته، وحشر في طقوس ومظاهر وشكليات تعبدية مع انتشار القومية والوطنية والفلسفات الوضعية والنظريات والإلحادية وبات الإسلام غريباً في وطنه وعند أتباعه. لكن بعض من بقايا القيم والمبادئ الإسلامية الحضارية ما زالت كامنة في ضمائرا الشعوب الإسلامية حيث الإيمان بالأخلاق والمثل العليا، كما أن إنكشاف سؤات الحضارة الغربية المعولمة وعوراتها ومصائبها جعل المسلمين ينظرون إلى أحوالهم ويستلهمون تراثهم، كما أن التحذيرات التي بدأت تتزايد من العقلاء وأصحاب الرأي والفكر السديد تشير إلى مثالب هذه الحضارة المتفولة بفعل إنفلاتها من كل قيد وضوابط وأخلاق. ولو أن هذه الحضارة كانت مقصورة على شعوبها ومريديها وأتباعها لكان خطرها سيبقى محدوداً، لكن عولمتها

وفرضها بأساليب الغزو والحضاري المقنع والمزيف، غزو استباح المحرمات وأباح المحظورات وتجاوز كل حدود، هو غزو لأنه استولى على العقول والالباب والنفوس كما المصائر والصالح والضرورات.. وصارت غاية كل الشعوب الانتماء الى هذه الحضارة بإرادتها أوغصباً عنها. لأنها تعيش تحت رحمة مندرجات هذه الحضارة ومعطياتها وأساليبها ونفوذها. فما العولمة إنن الإ حضارة غربية مادية طاغية تسير العالم وفقاً لأهوائها ومصالحها بعدما تمكنت من إخماد الحضارات الأخرى وخصوصا الحضاره الإسلامية بعد أن تم محاصرتها والتضييق عليها ومحاربتها في عقر دارها حتى صارت إرهاباً وأصولية وتطرفاً ...إلخ.

وأخيراً ... ؟!

ينتاب المرء شعور بالمرارة والاسى على حضارة الانسان التي. وصلت الى ذروة التقدم والرفاه المادي والمعرفي، ووصل بعلومه آفاق الفضاء وأعماق المحيطات، وامتلك من التكنولوجيا ما سمح له بالسيطرة على كل مخلوقات الارض. ولكنها إرتدت وانتكست عن كمال اهدافها ورقي مقاصدها وباتت إنجازاتها وبالاً عليها قد تودي بها نحو المهالك. ذلك أن هذه القدرات الخارقة سخرت لخدمة الشر والظلم والفساد. والناظر إلى حال عالم اليوم يدرك عظم المأساة التي تواجها البشرية، فهل يعقل على أعتاب الألفية الثالثه، ان يموت بعض البشر من الجوع.. ؟؟ وهل يعقل أن الأمية مازالت مستشريه في جنبات المعمورة .. ؟؟ وهل يعقل ان تتحكم حفنة من الاقوياء بمصائر الناس، وهي تمتلك الأسلحة الفتاكة ذات الدمار الشامل ؟؟ وهل يعقل ان يعود الإنسان الذي كرمه الله بهيمة تسعى وراء شهواتها وشذوذها وملذاتها تحت شعار الحرية ..؟! وهل يعقل أن يتمتع 20% عشرون بالمئة من البشر بالمغانم والنعم والترف، فيما ثمانون بالمئة لا تكاد تسدجوعتها.. ؟؟ أي حضارة هذه التي تغرق البشرية بالضنك والقهر والظلم. ويأتي من يطبل لها ويزمر باعتبارها غاية آمال البشرية بالحياة الكريمة والسعادة ..؟؟ وحبذا لو تعتقنا هذه الحضارة المعولمة من براثنها لنستعيد بعضاً من كرامتنا الإنسانية ومن حلاوة روحانياتنا وإيماننا. ويبدو أن الانعتاق من هذا الغزو الحضاري يحتاج إلى معجزات وتدخل إلهي فوق الطبيعة ؟! لذلك عندما ننصح باستلهام الحضارة الإسلامية لتصويب مسار البشرية وتصحيح توجهات الحضارة الغربية المعلومة، فإننا نعطي

فرصة لا مناص منها حتى نعيد التوازن الى عالم اليوم، من خلال مفاهيم قيمية تعيد ربط الإنسان بربه ومثله العليا واهدافه السامية. فلا يكون مجرد آله لا يهمه الا اشباع رغباته وتحقيق مطامعه، وهو في ذلك في حالة في صراع واستنزاف واستهلاك. ويا حبذا لو تعمل لشعوب المقهورة المظلومة، ومنها الشعوب الاسلامية، على محاولة الانعتاق من جبروت الحضارة الغربية المعولمة. ويدركوا أنهم يمتلكون تراثا حضاريا عريقا هو المعول عليه لإخراج البشرية مما تتخبط فيه من مآسي وويلات. لكن الامر يحتاج أولاً الى ان تستعيد الأمة الإسلامية هويتها وشخصيتها المتميزة وتنبذ كل ولاء وانتماء آخر، ومن ثم إطلاق حملة وعي وتفاعل لنفض الغبار عن مكونات الحضارة الإسلامية والعمل على بعث نهضة حضارية إسلامية تستوعب إنجازات الحضارة العالمية وتضع لها القواعد والأسس التي تزيل عنها كل ماضية ضرر وسوء وفساد وشر. وتبقي على كل ما فيه خير وسعادة ورفاه بالحق والعدل والمساواة والاخلاق الحميدة. وتضفي على الحضارة العالمية صفتها وسماتها وشعاراتها حتى تستقيم الحياة وفق رؤية إيمانية تعيد وشائح العلاقة بين الأرض والسماء فيحقق الانسان هدف وجوده في الحياة.

مكتبة البحث

1. القرآن الكريم
2. ابن خلدون، عبدالرحمن، التعريف بأبن خلدون ورحلته شرقاً وغرباً، دار الكتاب اللبناني، بيروت 1979
3. أبو خليل، شوقي، الحضارة العربية الإسلامية وموجز عن الحضارات السابقة، دار الفكر، بيروت 2002
4. التويجري، عبدالعزيز، الحوار من أجل التعايش، دار الشروق، القاهرة 1968
5. التويجري، عبدالعزيز، رؤية الإسيتكو الى الجواربين الحضارات، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ومنظمة الؤتمرات الإسلامية، الرباط 200
6. خليفه، عبدالرحمن واسماعيل، فضل الله محمد، في الأيديولوجيا والحضارة والعولمة، مكتبة بستان المعرفة، مصر 2001
7. ديورانت، ول قصة الحضارة، ترجمة د.زكي نجيب محمود.
8. اشبنغلر، أزوالد، تدهور الحضارة الغربية، ترجمة أحمد الشيباني، جزءان، دار مكتبة الحياة، بيروت 1964
9. شيخ إدريسي، جعفر، الحضارات ومستقبل الدعوة الإسلامية، مؤتمر مجلة البيان، الخرطوم 200
10. عويس، عبدالحليم، الحضارة. ابداع الماضي وآفاق المستقبل، دار الصحوة، القاهرة، 2010
11. فوكوياما، فرنسيس، نهاية التاريخ، ترجمة وتعليق حسين الشيخ، دار العلوم العربية للطباعة والنشر بيروت لبنان
12. القرضاوي، يوسف، الإسلام حضارة الغد، مكتبة وهبة، القاهرة 1995
13. ليلة، علي، تفاعل الحضارات بين إمكانية الإلتقاء وإحتمالات الصراع، منتدى سور الأزلكية www.bookd4all.net
14. مؤسس، حسين، الحضارة دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطويرها، عالم المعرفة، ع 237، الكويت 1998
15. مرعب، خالد مصطفى، بين الحضارات.. حوار ام صراع نقيد نظري بين فوكوياما وهنتنفتون، بحت
16. مرعب، خالد مصطفى، إسهامات العرب في إرساء اصول علم التاريخ، بحيث مقدم الى المؤتمر الدولي الثالث في تاريخ العلوم العرب والمسلمين = 5–7 وكانون الاول 2017 –جامعة الشارقة
17. الندوى، ابو الحسن، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، دار الكتاب الغربي، بيروت – لبنان
18. هنتنضتون، صمويل، صدام الحضارات وإعادة تشكيل النظام العالمي، 1993